الوفاة الشرعية ومصيبة الموت

مصيبة أخرى وحلت علينا .. حتى الموت أصبح من الأمور المشكوك فيها ..!!! قطعاً مصيبة أخرى .. عندما يصبح من الموت ما هو شرعى وغير شرعى .. وإكلينيكى ونهائى.. وموت مخ أو موت قلب .. ومما لاشك فيه أن الموت فى حد ذاته مصيبة .. كما ذكرالله تعالى فى كتابه الكريم:

« فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ »

[المائدة : ١٠٦].

لكن الأدهى من ذلك كله أن يكون هناك اختلاف فى الآراء حول حقيقة الموت والوفاة.

بالرغم من وجود العديد من الحقائق التى لا يمكن الشك فيها مثل: موت المخ الذى يعتبر إصابة .. مجرد إصابة وحسب .. وقد يموت المخ ويظل القلب حياً .. لكن لا يحيا أى عضو فى الجسم بما فيه المخ بعد موت وتوقف القلب .. حقيقة .. لا مراء فيها .. إذن الموت هو موت القلب وليس المخ ..! لكن لماذا يصر علماء الطب على أن الموت هو الموت الإكلينيكى أى الدماغى ؟

ويرى بعض الأطباء أن مسألة موت خلايا المخ ، الذى يؤدى إلى توقف عمل المراكز العصبية العليا التى تتحكم فى وظائف الجسم، هى الحد الفاصل بين الحياة والموت .. حيث يدخل الشخص الذى ماتت خلايا مخه فى حالة غيبوبة نهائية بصورة قاطعة ونهائية أيضاً .

كما أن مسألة تحديد موت الخلايا والأعضاء لا تعدُّ أقل أهمية من مسألة التأكد من أن حالة المخ أصبحت غير قابلة للإصلاح . أى أن موت خلايا المخ يعنى موت الإنسان نفسه. والسؤال المطروح الآن هل الموت هو توقف وموت القلب .. أم توقف وموت المخ..؟

إباحة النيل من أعضاء الأحياء ونقلها

والهدف واضح جلى من اعتبار البعض، هؤلاء المصابين بغيبوبة عميقة أمواتاً، بحجة اليأس من شفائهم .. وبالتالى سيباح النيل من أعضائهم الحية لزراعتها فى آخرين مرضى .

كيف يمكن الحكم على إنسان بالموت رغم حياة بدنه ؟

قد يحدث إنقاذ مريض توقف قلبه عن النبض بزراعة قلب آخر .. لكن لم يحدث على الإطلاق استعادة مصاب تلف مخه للحياة مرة أخرى، أى استعادة مخه أو مخ غيره .. ومن هنا يستند بعض العلماء على أن الموت هو موت المخ وليس القلب.

الوفاة فى القانون المصرى

ورغم أن تعريف الوفاة فى القانون المصرى هو توقف القلب عن النبض مما لا يعطى الجراحين فرصة انتزاع أى عضو من الجسم .. لأن الجسم بما فيه من أعضاء ومخ سيتوقف ويموت خلال وقت قصير ومحدد من موت القلب.

أما تعريف الوفاة بتوقف المخ أو تلفه تماماً يساعد على النيل من المصاب الذى يعتبرونه ميتا لنقل الأعضاء منه مثل الكبد والكلى والقلب إلى آخرين فى أشد الحاجة إلى تلك الأعضاء .. فهو يمنحهم فرصة نقل الأعضاء قبل توقف القلب عن عمله أى قبل موت الأعضاء. ونهى رسول الله عن التعجل بالسلخ أو قطع أجزاء الذبيحة قبل أن تهمد وتبرد ..فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تتعجلوا النفوس قبل أن تزهق». صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولمفارقة الروح الجسد علامات محددة استشهد واستدل بها علماء المسلمين ومنها:

- توقف القلب عن العمل.
- انقطاع التنفس.
- شخوص البصر، وثبات حدقة العين.
- عدم استجابة الجسم لأى تنبيه حسى.
- توقف جميع الأفعال المنعكسة.

برودة الجسم حتى يصير فى درجة حرارة الجو المحيط به.

كما أيد بعض علماء الطب علماء الفقه الرأى بأن موت المخ لا يعدُّ وفاة استناداً على الآتى :

- عدم توقف الأجهزة عن العمل.
- استمرار جميع غدد الجسم بإفراز عصارتها بما فى ذلك الغدة النخامية.
- استمرار إفراز هرمون النمو فى أجسام المرضى. وبالتالى فخلايا أجسام هؤلاء المرضى متجددة نامية.

والأدهش من ذلك كله أن :

- الجنين المستكن فى رحم أمه المريضة بالغيبوبة الدماغية العميقة، ينمو نمواً طبيعياً فى رحمها حتى تتم ولادته.
- احتفاظ هؤلاء المرضى بالمخ بدرجة حرارة أجسامهم بصورة طبيعية .

والأهم من ذلك كله .. بل ما يروق للأطباء الذين يعدون الوفاة هى موت المخ أنه:

يمكن نقل بعض الأعضاء مثل الكبد، القلب، الرئة، الكلية، البنكرياس، وغيرها بنجاح .. وهذا الأمر لا يتحقق إلا إذا تم ونقل من جسد حى.

بطلان مفهوم موت المخ

لأن الحياة عادت لنسبة ضئيلة من المرضى فى الخارج وبالتالى لا يجوز:

- تصنيف مرضى المخ سواء بالغيبوبة المستديمة أو العميقة ضمن الموتى.

تطبيق هذا المفهوم وفاة المخ على الأطفال، ذلك لقدرة أبدانهم على استعادة وظائف المخ أحياناً.

- تطبيق هذا المفهوم وفاة المخ على المعوقين ذهنياً أو مخياً من مرضى التخلف العقلى.

هل يجوز رفع الأجهزة الطبية

لكن ..!

هل يُعتبر انتفاء الحياة الإدراكية بالغيبوبة موت صاحبها، لما رفع عنه من تكاليف شرعية، حيث إن الإدراك هو مناط التكاليف الشرعية ..؟! وهل يجوز رفع الأجهزة الطبية عنهم؟

لا يمكن اعتبار مرضى الغيبوبة المخية أو الدماغية موتى .. لأنهم أحياء ولا شك فى حياتهم .. ومسألة نزع الأجهزة الطبية عنهم فى هذه الحالة، يعد قتلاً عمداً عند جمهور الفقهاء، حيث تعدُّ هذه الأجهزة من وسائل العلاج المساعدة.

سوق الأعضاء

د. أميمة خفاجى
أستاذ مساعد الهندسة الوراثية
جامعة قناة السويس

تعدُّ مسألة انتزاع أعضاء كل من مصابى الحوادث أو مصابى الغيبوبة جريمة متكاملة الأركان من الناحية الشرعية والقانونية كما أفتى بذلك مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بتاريخ ١٩٩٢/٦/٢٥. إلا أنه قد عمل البعض الآن على إباحة البعض نقل الأعضاء .. ولأن هناك من لا ضمير لهم سيستغلون هذا التصريح فى سرقة وانتزاع أعضاء المرضى.

لقد أجاز الشافعية استخدام عظام الموتى، فى تجبير عظم الحى المنكسر .. وكانت بعض آراء علماء الأطباء أيضاً بأنه إذا كانت أعضاء الإنسان محرّمة لكرامته فلماذا يجوز التداوى بالمحرم فى حالة الضرورة، إبقاء للحياة وحفظاً للصحة .. ما يجوز التغذى بالمحرمات فى حالات الضرورة والاضطرار .. فالشرع أجاز الواجب وفعل المحرم ، لوجود اضطرار مرضى .. كما أنه رفع الحرج عن المريض، أيًا كان مصدره .. الأمر الذى يسمح بالتداوى بالمحرمات.

وصرح الفقهاء بأنه:

لا يجوز ويحرّم شرعاً ويمتنع قانوناً التعرُّض للمحتضر بقطع أى جزء قاتل من جسده، قبل انتهاء حياته بظهور علامات الموت سالفة الذكر وإذا وقع من إنسان قبل استظهار وقوع الموت كان قاتلاً ووجبت محاكمته جنائياً.

الوفاة الشرعية

لقد تصدى علماء الدين لهذه القضية فى العديد من المؤتمرات والدراسات الإسلامية والعلمية والفقهية، وقرروا أن موت المخ أو ما يسمى بالموت الإكلينيكى لا يعدُّ وفاة شرعية. لأنه عبارة عن غيبوبة طويلة عميقة. وقد صرح بعض علماء الطب المسلمين: إن المصابين بموت المخ هم فى الحقيقة مرضى أحياء .. مصابون بالغيبوبة العميقة، والدليل على ذلك استمرار القلب فى عمله وسائر أعضاء الجسم فى أداء وظائفها. واتفق بعض علماء المسلمين على أن العلامات التى حددها الشرع لا تختلف مع العلامات الطبية فى التعريف الشرعى للوفاة بأنه توقف جميع أجهزة الجسم عن العمل وبرودته لفقدانه حرارة الحياة ، وبدء الفساد والتحلل والتعفن فى الجسم.

وكان الرأى الدينى والتشريعى فى هذا الموضوع أنه لا يجوز بأى حال من الأحوال أن يعجل بموت الإنسان، لتبقر بطنه، وتسلب كليته، أو كبده، أو قلبه، قبل أن يموت تماماً، وتفارق روحه الجسد .. فلا يجوز قطع أى جزء من جسد إنسان مازال على قيد الحياة .. وفى الحديث قال الرسول صلى الله عليه وسلم:

« ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة» فما بالنا بالإنسان الذى كرّمه الله على الكثير ممن خلق فقال جل شأنه:«

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا .

السيطرة على الغضب

.. وكيفية ضبطه على المدى الطويل

عندما يصبح الشخص قادراً على التعرُّف إلى علامات الغضب، يمكنه تهدئة نفسه، والبدء بالبحث عن وسائل شاملة للسيطرة على غضبه:

● **ممارسة التمارين**

يمكن خفضُ مستويات الشدَّة والتوتُّر بممارسة التمارين الرياضية والاسترخاء. ويعدُّ الجرى والمشى والسباحة واليُوجا والتأمُّل من الأنشطة التى يمكن أن تساعد على الحدِّ من التوتُّر؛ فممارسة التمارين الرياضية كجزءٍ من الحياة اليومية هى وسيلة جيِّدة للتخلُّص من الانزعاج والغضب.

● **الاعتناء بالنفس**

يمكن تخصيصُ وقت للاسترخاء بشكلٍ منتظم، وضمانُ الحصولِ على قدرٍ كافٍ من النوم. ولكنَّ معاقرة المخدِّرات والكحول تجعل مشاكلَ الغضب أسوأ، حيث تنقِص الضوابط التى نحن بحاجة إليها لمنعنا من التصرُّف بشكلٍ غير مقبول ونحن غاضبون.

● **ممارسة الهوايات**

يمكن للكتابة والرسم أو أى عملٍ إبداعى أن يقلِّل من التوتُّر، ويساعد على الحدِّ من مشاعر الغضب.

● **النقاش حول موضوع الغضب**

يمكن أن تكونَ مناقشةُ المشاعر مع صديقٍ مفيدةً، حيث قد يساعد ذلك على الحصول على وجهة نظر مختلفة عن الوضع.

إلقاء نظرة على طريقة التفكير

لابدَّ من محاولة التخلِّى عن أيَّة وسائل غير مفيدة للتفكير، مثل أفكار «هذا ليس عدلاً»، أو «الناس من هذا القبيل لا ينبغى أن يكونوا على الطُّرُق»، حيث يمكن أن تجعل هذه الأفكارُ الغضبَ أسوأ.

إنَّ التفكيرَ بمثل هذه الطريقة يُبقى الشخص مركِّزاً على كلِّ ما يجعله غاضباً. لذلك، يجب السعى إلى التخلُّص من هذه الأفكار، ممَّا يجعل التهدئة أسهل.

لا تستخدم العبارات التى تشتمل على ما يلى:

● دائماً (على سبيل المثال، عليك أن تفعل ذلك دائماً).

● أبداً (أنت لا تستمع لى أبداً).

● يجب أن/يجب ألاَّ («يجب أن تفعل ما أريد» أو «ينبغى ألاَّ تكون على الطُّرُق»).

● ينبغى أن/ينبغى ألاَّ («ينبغى أن أصلى فى الوقت المُحدَّد» أو «ينبغى ألاَّ أتأخَّر»).

● ليس من العدل.

الحصولُ على المساعدة

إذا كان الشخصُ يشعر بأنَّه بحاجة إلى المساعدة للتعامل مع الغضب، لابدَّ من مراجعة الطبيب؛ فقد تكون هناك دورات للتعامل مع الغضب، أو طلب المشورة.

السيطرة على الغضب

الغضبُ هو انفعالٌ طبيعى وصحِّى. ولكن يمكن أن يكونَ التعاملُ مع الغضب مشكلةً بالنسبة لكثير من الناس، الذين يجدون صعوبةً فى إبقاء غضبهم تحت السيطرة.

أفادت دراسةٍ حديثة أن ٨٢٪ من البالغين يشعرون بالقلق حول الغضب الذى يشعرون به أحياناً، وقال٢٣٪منهم إنَّ لديهم صديقاً أو قريباً يعانى من مشاكل فى التعامل مع الغضب.

تشتمل القضايا الصحِّية المرتبطة بالغضب المستمر على ارتفاع ضغط الدم، والنوبات القلبية، والاكتئاب، والقلق، ونزلات البرد والأنفلونزا، ومشاكل الهضم.

لكن لا يجب أن يكونَ الغضبُ مشكلة، حيث لا بدَّ من السيطرة عليه، ويتحمَّل الشخصُ مسؤولية ذلك.

التعامل مع الغضب

كلُّ شخص لديه ردَّة فعل جسديَّة تجاه الغضب. لذلك، يجب الانتباهُ لاستجابة الجسم عندَ الغضب، واتِّخاذُ خطوات للتهدئة باستمرار:

● **التعرُّف إلى علامات الغضب**

ينبض القلبُ بشكل أسرع، كما يتسرَّع النَّفَسُ، ويتحضَّر الشخص للتصرُّف. وقد تُلاحظ علامات أخرى أيضاً، مثل التوتُّر أو الشدِّ فى الكتفين أو انقباض القبضتين؛ فإذا لاحظ الشخصُ هذه العلامات، يجب أن يخرجَ من المكان الذى هو فيه إذا كان لديه تاريخٌ من فقدان السيطرة.

● **العدُّ إلى ١٠**

يوفِّر ذلك الوقتَ للتهدئة بحيث يمكن أن يفكِّر الشخصُ بشكل أكثر صفاءً، ويتغلَّب على الدافع إلى التصرُّف.

● **التنفُّس ببطء**

يجب القيامُ بزفير لمدَّة أطول من الشهيق، مع الاسترخاء خلالَ الزفير؛ فالشخصُ يقوم بالشهيق بشكل تلقائى أكثر من الزفير عندما يشعر بالغضب، ولذلك ينبغى فعلُ العكس؛ فهذا سوف يجلب التهدئة على نحو فعَّال، ويساعد على التفكير بشكل أكثر صفاءً.